الترنسندنتالية في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر[▽]

Transcendentalism in contemporary American political thought

أ.م.د. رنا مولود شاكر[(*)] Asst. Prof. Rana Mawlood Shakir

الملخص:

أن الترنسندنتالية تؤمن بقوة روح وعطاء الأنسان وترى أنه يمتلك من القدرات الذاتية ما يؤهله لبناء مجتمع تسوده العدالة والحرية ولاتتعرض حقوقه للتقويض أو الأنتهاك، والفكر المتعالي أعاد إحياءه الفيلسوف كانط في عصر التنوير الأوروبي لكنه لم يحقق تأثير واقعي في الفكر السياسي الغربي، أما المناخ الفكري والسياسي الأمريكي كان مستعداً لتبني أفكاره وتطبيقها كجزء من بناء المجتمع المدني–السياسي والتي تزامنت مع حركة الأستقلال العام 1776، وتحولت تأثيراته الفكرية للغة مشتركة بين النخب السياسية للدولة وعامة الشعب، ونجد أن المتغيرات السياسية والأقتصادية في القرنين التاسع عشر والعشرين لم تمنح الترنسندنتية وأفكارها فرصة إحتلال مركز الصدارة على مستوى الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، لكن أسسه الفكرية أستطاعت التجذر عميقاً بفكر وسلوك العقل الفردي والجمعي، والذي تجسد بظهور نظريات وإطروحات فكرية وسياسية ذات هوية أمريكية خالصة، وأسهمت أيضا بتحقيق عملية الأستدامة لحماية قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية وتحويلها لاحقاً لأنموذج عالمي على مستوى الفكر والعمل السياسي.

الكلمات المفتاحية: الفكر المتعالي، التسامح الديني، الحرية، النزعة المجتمعية، المساواة الليبرالية، الديمقراطية التفاعلية.

Abstract:

Transcendentalism believes in the power of the spirit and generosity of man and believes that he possesses the intrinsic capabilities that qualify him to build a society in which justice and freedom prevail and whose rights are not undermined or violated. Transcendental thought was revived by the philosopher Kant in the era of European Enlightenment, but it did not achieve a realistic

▽ تاريخ التقديم : 2024/3/15 تاريخ القبول: 2024/4/12 تاريخ النشر: 2024/6/30

(*) جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. Rana.mawlood@cis.uobaghdad.edu.iq

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

impact on Western political thought. As for the intellectual and political climate The American was ready to adopt his ideas and apply them as part of building a civil-political society that coincided with the independence movement of 1776, and his intellectual influences turned into a common language between the state's political elites and the general public, We find that the political and economic changes in the nineteenth and twentieth centuries did not give Transcendentalism and its ideas the opportunity to occupy the forefront at the level of contemporary American political thought, but its intellectual foundations were able to be deeply rooted in the thought and behavior of the individual and collective mind, which was embodied in the emergence of intellectual and political theories and theses with a purely American identity, and contributed Also by achieving the sustainability process to protect the values and principles of liberal democracy and later transforming it into a global model at the level of thought and political action.

Keywords :Transcendentalism, religious tolerance, freedom, communitarianism, liberal egalitarianism, interactive democracy.

المقدمة:

ظهرت الترنسندنتاليه بالولايات المتحدة الأمريكية في البداية كحركة للتفكير الديني الراديكالي ضد التقاليد، وإتسمت بالعقلانية والمحافظة وتمثل إمتداد لأفكار حركات الأصلاح الديني التي إنتشرت في أوروبا بالقرن الخامس عشر الميلادي لنجد أن رواد هذه الحركة تأثروا بأفكار قادة الأصلاح أمثال مارتن لوثر وأولريخ زونجلي وجون كالفن، كما تزامن هذا التأثر مع تبني أفكار التنوير الأمريكي كجزء من طروحاتهم الفكرية والتي إنتشرت بسرعة في المستعمرات الثلاثة عشر منتصف القرن السابع عشر، ليسهم التفكير الترنسندنتالي بدعم أفكار التسامح الديني وتعزيز منطق التفكير العقلاني على المستوى الديني والسياسي والعلمي، وأدى لتنوير العقل الأمريكي لإخراجه من ركوده الفكري وخضوعه لأفكار تقليدية بفعل هيمنة المستعمر، هذه المتغيرات أستطاعت تكوين قيادات دينية وإجتماعية وسياسية في تلك المستعمرات تمكنت تدريجياً من توحيد رؤيتهم حول كيفية إدارة شؤون حياة مجتمع المستعمرات وتحديد علاقتهم بالسلطة بما يضمن حقوقهم وحرياتهم، ومع عمليات الشد والجذب من قبل التاج البريطاني في تنفيذ التطلعات السياسية لهم بدأت تتبلور تيارات فكرية جديدة أسهمت لاحقا بنقل منظور تفكيرهم من الجانب التقليدي لجانب التفرد والريادة لينتج عنه ما يعرف بالفكر السياسي الأمريكي، الذي أسس له الأباء

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

المؤسسين الأوائل والذين أعلنوا إنطلاق الثورة الأمريكية العام 1776 وإعلنوا الأستقلال عن الأستعمار الأنكليزي.

ونجد أن الرؤى الفكرية للترنسندنتس إنتقلت من مجالها الديني للسياسي والأخلاقي والأقتصادي والإجتماعي، وذلك بفعل تفاعلها وتأثرها بالأحداث التي طرأت على المجتمع الناشيء قبل الأستقلال وبعده، وعملية الأنتقال هذه ساعدت كثيرا بتطور وتجديد الفكر السياسي الأمريكي عبر ظهور نظريات سياسية وإطروحات فكرية جديدة وتختلف عن الفكر والتفكير الأوروبي، وذلك بفعل تأثرها بالمنظور الفكري الترنسندنتالي الذي تحول من حركة دينية شعبية– إجتماعية لقوة مؤثرة في الحركة الفلسفية الأمريكية ونظرياته السياسية والمعرفية لتصبح أنموذجاً خاص في مجتمعها وله حظور وتأثير عالمي في الأوساط الفكرية والسياسية.

أهمية البحث: بيان مدى قوة تأثير طروحات الترنسندنتالية في تجديد تفكير العقل الأمريكي والذي أسهم في ظهور نظريات سياسية مختلفة عززت من قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية، وقادت نحو بناء مؤسسات قادرة على التكيف مع تطورات العمل السياسي وإدارة السلطة .

هدف البحث يهدف البحث لبيان حجم اسهامات الترنسندنتالية ليس على مستوى البنية الفكرية وإنما قدرتها بالإرتقاء بمكنونات الشخصية الأمريكية وترسيخ فلسفة الاخلاق وقيم التسامح الديني والعدالة في وعيها وسلوكها والذي انتج لاحقاً بيئة مجتمعية ديمقراطية فاعلة توازن ما بين احترام التعدد والتنوع الثقافي والحفاظ على فرديته.

مشكلة البحث: ان الترنسندنتالية بسبب توجهاتها المتعالية في التفكير وتركيزها على نقاء الفرد كجزء أساس لبناء المجتمع والدولة تقاطعت مع طبيعة السلوك السياسي لإدارة السلطة مما حال من دون تصدر أفكارها على الرغم أنها الهمت أجيال من الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين وأسهمت بأنتاج نظرياتهم السياسية.

فرضية البحث: أن الترنسندنتالية وطروحاتها الفكرية أسهمت في تطور حركة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، وأثرت بشكل واضح على المنظومة الفكرية والقيمية للمجتمع عبر ترسيخها للحرية كقيمة عليا ومن أولويات بناء الأمة والدولة.

الإطار المنهجي للبحث: أستخدمنا في هذا البحث المنهج الأستنباطي وتضمن مقتربين المقترب التاريخي لتحديد جذور الفكر للترنسندنتالي والمقترب التحليلي لبيان تأثير أفكاره في التنظير السياسي الأمريكي.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أولاً: البنية الفكرية للترنسندنتالية الأمريكية

ان الأساس الفكري للترنسندنتس الأمريكي أو ما يطلق عليه (بالتفكير المتعالي) لرواد الفكر السياسي، أرتبط حول أمرين مهمين "الأول يركز على كيفية التحرر من الفكر التقليدي السابق والسائد في أوروبا والثاني إعتماد هذا النوع من التفكير لتعزيز مكانة الحرية والفردية وكلاهما يشكلان ركيزة أساسية لبناء الأمة والدولة الأمريكية وعبر طروحات الفلسفة المتعالية وصل كلاهما الى مرتبة التقديس كقدسية العقيدة الدينية"[1]، ويرى رواد الفكر الترنسندنتالي أن الوصول لمرحلة تساوي قيمة وقدسية كل منهما تتطلب إيجاد منافذ قوية لتحرير الوعي العقلي العام من قيود وسيطرة الموروث التقليدي الذي وضع الأستعمار الأنكليزي مرتكزات عدة له، أعاقت تحرر الذات الأنسانية وإرادتها وأبطأت من عملية تطور المجتمع وأنتقاله من حالته البدائية للحالة المدنية– السياسية، ولأن فلسفة الترنسندنت ورؤيتها الفكرية إهتمت بالنضوج العقلي كونه الجزء الأهم لتحرير الأنسان من كل قيد لذا تعرف بأنها " أحد أوجه فلسفة ونظرية المعرفة لأنها تمثل الأنفتاح الدائم للعقل البشري ليدرك عبر قدراته الظاهرة والكامنة ما يحيط به ليكتشف بذاته جميع المعلومات والحقائق التي تمس واقعه وعندها يختار بإرادته الحرة كيف يجب أن يعيش ويتفاعل مع الأخرين من دون خضوع أو إستعباد تحت أي مسمى"[2]، وأفكارها هذه تجاوزت الرؤى والطروحات الفكرية المعتمدة على الفكر التجريبي أو الحسي أو المادي، والتفكير الترنسندنتالي يعلو ويسمو عليها جميعا لأنه يمثل أعلى نقطة للإدراك العقلي المنفتح والأخير يرتبط بالروح العالية التي تصل لمستوى من المعارف لما فوق التجربة والمحسوس.

وتعرف الترنسندنتالية أيضا بأنها "التفكير المتوازن الذي يجمع بين العقل الخالص والعملي عندما يمتلك الأنسان وعي عالي وإرادة حرة تمكنه من السيطرة والتحكم بكل ما يحيط به ويعمل على تنظيمه بما يتوافق مع حرية وكرامة الأنسان وإعلاءالضمير لنشر الخير المطلق الذي يحكم الحكام ويحاسب القضاة ولا يتسامح أبدا في الأنحياز الى طرف من دون الأخر"[3]، وهذا الطرح المتعالي يعبر عن رسالة واضحة للأفراد مفادها أن الهدف من وجود الأنسان بهذه الحياة التصالح مع ذاته أولاً ليرتقي لمستوى التفكير العميق النقي، ويعلو به لدرجة النظر من حوله بروح إيجابية متوازنه تجعله يصل لقمة الإدراك، لأنه

---

(1) Warren, Robert, Romantism, Newyork, Garland, 1986, p3-5.

(2)Joel Myerson, Transcendendentalism, Oxford University Press, 2000, P 24-28.

(3)Warren, Robert, op- cit, P20-23.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

يحمل بداخله كل ما يحتاجه ليضع ضوابط وتنظيم حياته وتفاعله مع الأخرين، وفق مبدأ الخير المطلق والذي يمثل القاعدة الأساس لكل الأشياء التي خلقت في العالم، وأنطلاقا من ذلك نجد أن الفكر المتعالي يمثل الرؤية المعرفية لعلو التفكير العقلي الخالص وجوهر ما يدركه يختلف تماما عما يراه أو يدركه العقل السليم، لأن الأول يتماهى مع أفكار فلسفة المعرفة ويتفاعل معها بوعي ناضج وتام، أما الثاني فهو أما تستولي عليه وتتملكه أو لايمكنه التفاعل معها جزئياً أو كليا، وهنا يوضح لنا رواد الفكر الترنسندتي الفرق بين طروحات فلسفتهم التي تتميز حركتها أنها عامودية وتأخذ بالصعود نحو الأعلى، وبين طروحات الفلسفة الوضعية الأخرى والتي تتحرك أفقياً وتنتقل من جانب الى أخر أو من الأعلى للأدنى لتثبت صحة الفكرة الثانية على الأولى والعكس صحيح، وللتعرف بشكل أدق على طبيعة البنية الفكرية للترنسندنتالية علينا البحث في جذور نشأتها وأصولها الفكرية وأيضا تحديد مسارات تطورها وتأثيرها على منظور العقل الأمريكي ووفق الآتي:

1- جذور الفكر المتعالي في العقل الأمريكي :

أن الأصول الفكرية للترنسندتس تعود جذورها لعمق التاريخ وتحديداً الى عهد المدرسة الأيلية(*)، وأسست لفكرة أن "إدراك الواقع لايتم إلا عبر الوصول للحقيقة وهي تدرك بالتفكير العقلي وكلما تطورت قدراته كلما تمكن من التمييز بين الوهم أو الخيال وبين الحقائق وهذا التطور يجعله يسمو على باقي الكائنات ويمكنه من السيطرة على محيطه أما إذ بقي يتبع إدراكه الحسي فأنها ستقوده لتصورات مضللة أو غير صائبة"[1]، وفلاسفة الفكر اليوناني أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو قاموا بتطويرها لأنضاج التفكير العقلي عبر أنشاء إتحاد قوي بين قدراته ومهاراته لتفسير نظرية المعرفة ومعالجة الظواهر والمشكلات المحيطة بالأنسان، وتوظيفها لنشر الفضيلة والمثل العليا للأخلاق لتكوين بيئة إجتماعية- سياسية تتميز أفكارها بالسمو والرفعة على سائر المجتمعات الأخرى.

وبينوا أن نضوج تفكيرهم العقلاني سيحول فلسفتهم لمرتبة الفكر المتعالي اللامحدود وصولا لذروة تحقيق أعلى درجات المعرفة في مختلف الأمور، وعلى الرغم من تعدد الأهتمام بالفكر الترنسندنتي في العهد

(*) المدرسة الإيلية: هي إحدى المدارس الفلسفية التي ظهرت في الحضارة اليونانية القديمة وسميت بهذا الأسم نسبة لمدينة إيليا جنوب أيطاليا وكانت إحدى المستعمرات اليونانية سنة 535-540ق.م، أسسها بارمينيدس وطور توجهه الفلسفي زينون ولعبت دورا مهما في تطور الحركة الفلسفية ليس في اليونان وحسب إذ سبقت عهد سقراط وأنما على مستوى الفكر الغربي الحديث وتمثل المدرسة الجذور التي منها انبثقت الترنسندنتالية الأولى للمزيد من المعلومات ينظر: Joel Myerson ,op- cit ,p 38-41.

[1]Philip F. Gura, American Transcendentalism, Hill & Wang Press, 2008,P 116-117.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

اليوناني إلا أن طروحاته لم تتمكن من الأنتشار أو تتحقق فعلياً على أرض الواقع بشكل شامل وإنما إجزاء محددة منها، بسبب أن العقل البدائي ذو التفكير البسيط هو من يهيمن على الواقع الإجتماعي والسياسي ويمثل الأغلبية، في حين أن العقل الخالص وفكره المتعالي مثل الأقلية ضمن نخبة الفلاسفة والمفكرين وحسب، ونجد أن عدم قدرة إستيعاب وأحتواء أفكار وطروحات الترنسندنتالية للعقل البسيط والعملي في المجتمع إستمرت طويلاً، لذلك بقيت أفكارها وتوجهاتها تدور في فلك نخبة النخبة للعلماء والمفكرين والفلاسفة الذين إعتمدوا توظيف أفكارها في نظرياتهم الفلسفية والدينية والسياسية لتصنف كأفكار إبداعية أو ريادية(*)، لتبقى غالبيتها بعيدة عن تمثلاتها الإجتماعية والسياسية ولم تصل لعمق التفكير الفطري لعامة الناس لتطور من مهارات تفكيرهم، لأعلى مستوى للوعي والإدراك ليتمكنوا سريعاً للوصول لأهدافهم وغاياتهم في الحياة.

ومع حركة التغيير التي طرأت على الفكر الغربي في عصر التنوير بدأ التفكير المتعالي يتحرر من سباته الطويل ويتمكن تدريجياً من تحرير العقل الفردي والجمعي " من تبعية الموروث التقليدي وهيمنة الأفكار الكنسية والسياسية المستبدة على المقدرات العقلية للأنسان وينتقل من مرحلة القصور العقلي والطاعة العمياء لمرحلة الأتزان العقلي وتصبح سيادة العقل مرتكز لتفكيره وتفاعله مع محيطه والمصدر الأول لوصوله للمعرفة والأيمان وسمو الأخلاق وأتساع نطاق حرية فكره وتعبيره"[1]، ويعد الفيلسوف كانط(*) أول من إعتمد على طروحات الترندسنتدس وتوظيفها لأنتاج ما أسماه "بثالوث تقدم الوعي الأنساني ويشمل وحدة الأدراك وقوة العقل الخالص وحدة الإرادة الحرة ومتى ما ترسخوا في التفكير ستحل كل معضلات فهم وإدراك نظرية المعرفة عبر تمكن العقل البسيط من الأرتقاء بقدراته ليستوعب ويدرك الأفكار المتعالية التي يتحدث عنها منظروا الترندنسندنتية"[2]، ويرى أن إجتماع مضامين ذلك الثالثوث قد

(*) في العصر الوسيط ومع ذروة هيمنة الكنيسة التقليدية على السلطة الحاكمة والمجتمع بدأ فلاسفة الفكر المسيحي وفي مقدمتهم آباء الكنيسة الأوائل مثل القديس أوغسطين توظيف أفكار الترنسندنتس لدعم أفكار العقيدة المسيحية وسلطة البابا الكهنوتية وفكرة الخلاص وتقسيم العالم لثنائية الخير والشر وترسيم حدود ومكامن الحق والخير والعدالة للبشرية المرتبط بالوحي الألهي للمزيد ينظر: Philip F. Gura, op- cit, p124-126.

[1]Lawrence Buell, The American Transcendentalists, Modern Library Publisher, 2006, p72-80.

(*) إيمانويل كانط(1724-1804) فيلسوف ومفكر الماني ويعتبر أخر فلاسفة عصر التنوير الأوروبي والأكثر تأثيراً في تطوير الفكر السياسي الغربي المعاصر حتى القرن الحادي والعشرين، أفكاره وفلسفته أخذت بعداً متطوروريادي تفوق عمن سبقه وشملت مسارات دراسته ومؤلفاته أعمالا هامة عن نظرية المعرفة تتعلق بالدين والقانون والأخلاق والتاريخ والسياسية ويعد هو المؤسس الفعلي للترنسندتالية الحديثة ينظر: إمانويل كانط، نقد ملكة الحكم، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بيروت لبنان، 2009، ص5-7.

[2]Lawrence Buell, op- cit, 91-95.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

لا تكون على نفس الوحدة أو النسق من حيث الوعي والأدراك العقلي، وهي تختلف من بيئة مجتمعية لأخرى بحسب طبيعتها السياسية والدينية والثقافية، لكن ذلك يكفي لأن يتحقق عبره أنتاج الخير الأسمى وتعزيز القانون الأخلاقي إذ منحت وحدة الإرادة الحرة دعم أو حيز أكبر عندها يتمكن العقل الخالص من ترسيخ وتطبيق مبادئ ترنسندنتالية وتحويلها لقيمة عليا ومقدسة في الوعي الفكري لأي مجتمع، أن عملية توظيف الفكر المتعالي لتحرير الوعي والفكر السياسي للمجتمع الغربي في عصر التنوير أسهم بشكل واضح في زيادة حركة النشاط الفلسفي – العلمي والذي أنسلخ تماما عن المعتقدات الميتافيزقية، كما عزز من نشر الإطروحات الفكرية لفلاسفة ذلك العصر لاسيما المتعلقة بنظريات العقد الإجتماعي وظهور الحكومات الدستورية التي قوضت من سلطة الملكية المطلقة، ومهدت الطريق لتثبيت دعائم مبادئ الحرية والفردية والتسامح الديني وفصل الدين عن الدولة والتي بمجملها قادت لتحقيق الأصلاح السياسي والإجتماعي المنشود لتدخل أوروبا نحو النهضة الفكرية المزدهرة منذ منتصف القرن الثامن عشر.

وشكل تطور نشر المطبوعات والكتب بنقل الفكر الترنسندنتالي لنطاق واسع ليصل تأثيره لمستعمرات العالم الجديد، ويتزامن مع الثورة الأمريكية وإعلان الأستقلال إذ تبنى الآباء المؤسسين الأوائل العديد من أفكاره ونجدها ماثلة بالدستور الأمريكي العام وحتى 1789 وحتى يومنا هذا، ومعنى ذلك أن العقل الأمريكي تبنى الفكر المتعالي بالجانب القانوني وأطروحاته المتعلقة "بالخير المتأصل في النفس البشرية وإيمانه بحريته وفردانيته تتوافق مع توجهات مشرعي الدستور والقانون وأدركوا أن إعتماد التوازن العقلاني ما بين الأدلة المنطقية والحس الأنساني سيعزز الحكم الرشيد للسلطة الحاكمة ويدعم أسس بناء الدولة لأن الإرادة العقلانية هي أعلى أداة لضبط وتنظيم شؤونها"[1]، وأستطاعت مخرجات التنظيم القانوني المتأثر بالفكر الترنسندتسي الأنتقال لرواد الفكر السياسي الأمريكي الحديث، الذي تطور لمراحل متقدمة لتتحول طروحاته الفكرية للغة تفاعل مشتركة ومتناغمة ما بين النخبة وعامة المجتمع، وعلى الرغم أن " مدرسة الفكر الترنسندنتالي أصولها أوروبية وكانط هو المؤسس الفعلي لها لكن المدرسة الأمريكية للترنسندنت تفوقت عليها بتوظيف أفكارها ومخرجاتها على أرض الواقع وحولتها لنموذج للتفكير والتعبير والممارسة بين الأوساط الشعبية وليست مجرد أفكار تدور في فلك نخبة المفكرين والمجتمع"[2].

وللمزيد ينظر: إمانويل كانط، نقد ملكة الحكم، مصدر سبق ذكره، ص35– 39 .

[1]Philip F. Gura, op– cit, p133–135.

[2] Lawrence Buell, op– cit, p115–118.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أن نجاح وتطور الفكر المتعالي الأمريكي لما بعد الأستقلال أرتبط بحركة التغيير المتعددة التي سعى مفكروها لنشرها لتصبح جزء أساس من ثقافة العامة، لإعادة تشكيل ورسم نشأتهم الفكرية والسياسية مما يسهل من عملية إنسلاخه عن الموروث التقليدي الذي ساد إبان الأستعمار، وهذا يكشف لنا كيف أن مؤثراته الفكرية إمتدت لتشمل جوانب متنوعة وليس فقط الفكر والفلسفة، ويعد **رالف والدو إمرسون**[*]**الأب والمؤسس الروحي للفكر الترنسندنتالي** إذ بدأت أفكاره تؤثر بالوسط الشعبي في مناطق الساحل الشمالي الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية، وكانت طروحاته الفكرية تشهد تفاعلاً كبيرا بين عامة الناس وليس على مستوى طبقة النخب وحسب، لذا تم تصنيفها كحركة شعبية – دينية لأن نشاطه الذي ظهر منتصف عشرينات القرن الثامن عشر ركز أولا على القضايا الدينية والعمل على تغيير بعضها وتكوين رؤية عقائدية جديدة للدين، ومع تطور الإقتصاد والعمران الذي تزامن مع الثورة الصناعية نهاية القرن الثامن عشر أنتشرت أفكاره المتجددة في عموم البلاد وتفاعلت معها "حركة العلوم العقلية والأصلاح السياسي والإجتماعي وسعيهما لتطوير المجتمع والأنسان ومنظور تفكيره عبر تنشئته ببيئة فكرية وثقافية متكاملة تعمل على صياغه سلوكه وتهذيبه بما ينسجم مع القيم الأخلاقية العليا ومبادئ الحرية والفردية والمساواة وتحوله لنموذج عالمي وفريد يقتدى به من قبل جميع شعوب العالم"[(1)].

أما هنري ديفيد ثورو[*] أسهمت كتاباته الأدبية بتطور الأدب الأمريكي ونقله لمرحلة الأبداع والتفوق على نظيره الأوروبي، لكن تأثير أفكاره عن الأصلاح السياسي كان أقوى وتميزت بالأناركية المتعالية حول السلطة والفردية والمساواة ولعبت دوراً مؤثراً بحركة الإحتجاجات حول الغاء العبودية التي سبقت الحرب

---

[*] رالف والدو إيمرسون(1803–1882) فيلسوف وشاعر أمريكي تخرج من جامعة هارفرد وله دور كبير في تطوير حركة الفكر السياسي والثقافي للولايات المتحدة الأمريكية في القرنين الثامن والتاسع عشر، وأسس اللبنات الأولى للترنسندنتالية الأمريكية وإنتشر تأثيرها في عموم البلاد وأسهمت أفكاره بتطوير نظريات سياسية عدة أهمها البراغماتية والنقدية الجديدة وأسهم بظهور حركات سياسية وإجتماعية مهمة في القرن العشرين مثل حركة الحقوق المدنية والغاء العبودية والأعتراف بالتعدد والتنوع الأثني والعرقي والعدالة الإجتماعية للمزيد ينظر: رالف والدو إيمرسون الحرية والترانسندنتالية، وفاء علواني، وسمير تناغو، دار الوفاء لدنيا للنشر والطبع، الأسكندرية، 2020، ص28–34.

[(1)]Walter Leatherbee Leighton, French Philosphers and New– England Transcendentalism, Legare Street Press, 2023, p41–47.

[*]هنري ديفيد ثورو(1817–1862) فيلسوف وشاعر أمريكي ومن رواد الفكر المتعالي كان زميل وتلميذ إيمرسون وأستطاع أن يطور من التفكير الترنسندتي عبر طروحاته السياسية في كتاباته ومؤلفاته التي تميزت بالدفاع المقدس عن الحرية والفردية والمساواة وشجع معارضة السلطة وأكد ان شرعيتها ستفقد إذما صادرت الإرادات الحرة للعقل الجمعي للمزيد ينظر: حمدي مهران، الطاعة المدنية والعصيان المدني بين ويليام بيلي وهنري ثورو، دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع، 2023، ص 43–45.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الإهلية الأمريكية العام 1861، وطروحاته السياسية لاسيما عن الديمقراطية والمشاركة السياسية والمواطنة سابقة لعصرها وعبرت عنها بمقالته الشهيرة **مقاومة الحكومة المدنية** وتشير أن أصل حياة الأنسان هي الحرية والفردية وصيانتهما وفقا للعقد الإجتماعي المنبثق "عن إرادة العقل الجمعي تجعلهما من مسؤوليات الحكومة التي تأسست بموجبه، وبالمقابل المواطن يحترم ويلتزم بقوانين السلطة طالما هي ملتزمة بإحترام حقوقه وفق مبادئ الحق والعدل والمساواة ومتى ما خالفت شروط العقد يحق له بعدم طاعتها وعصيانها ولايعد عدواً أو خائناً لها وإنما هو حقه و واجبه الأخلاقي لأصلاح سلوك سياسات حكومته"[2]، أن جوهر فكره السياسي عن العصيان المدني أو معارضة توجهات السلطة الحاكمة تنبع من فكرتين، **اولهما** ان الحكومة الأفضل هي من تحكم أقل بمعنى أن وظيفتها تقع ضمن التنظيم القانوني والإدارة السياسية وتوفير الحماية للمواطنين، **وثانيهما** أن عصيان السلطة واجب أخلاقي وديمقراطي إذ لايجب على المواطن طاعتها وتأييدها حينما تتخذ قرارات تتعارض مع قيمه ومبادئه وتخالف شروط التعاقد، ومعارضته لها تمثل أحد الأوجه الإيجابية المعبرة عن إرادته الحرة لأصلاح القرارات السلبية التي تتخذها الحكومة وتمنعها أن تصبح فاسدة أو مستبدة،

أن منظور التفكير الترنسندتي لثورو حول الإرادة الحرة للإنسان وربطها بلأخلاقة الطبيعية وقانونها وإعتماد التوازن العقلي كجزء من التنظيم والإدارة السياسية تركت أثراً كبيرا في بنية العقل الأمريكي المعاصر والهمت مفكريه لتطوير نظرياتهم عن الديمقراطية الليبرالية وتداول السلطة والمشاركة السياسية وإحترام التعدد والتنوع الذي يتميز به المجتمع الأمريكي والتعامل مع الجميع وفق مبادئ العدالة والمساواة وتكافيء الفرص، وتسليط الضوء على هذه القضايا من قبله أسهمت لاحقاً بإنتاج سلطة أكثر إحتواء وفاعلية لإدارة شؤون مواطنيها، وجنبتها من التعرض مجددا للعنف والحروب التي تمزق وحدة الدولة، مما أعطى للحكومات الأمريكية المتعاقبة القدرة على تحقيق الأستقرار المنشود والحصول على شرعية مستدامة عبر حصولها على رضا معظم الإرادات الحرة المكونة لعقدها الأجتماعي.

2- مسارات البناء الفكري للترنسندنتالية: أن الأفكار والأراء التي قدمها الفكر المتعالي أثارت إهتمام الأوساط الإجتماعية والسياسية والثقافية، ليس على مستوى طبقة النخبة سواء المجتمعية أو الحاكمة وأنما عامة الشعب لأن ما يقدمه دفعهم للبحث عن الحقائق، وشجعهم للخروج من بوتقة هويتهم وموروثهم

---

[1]Walter Leatherbee Leighton, op-cit, p64-69.

وللمزيد ينظر: حمدي مهران، الطاعة المدنية والعصيان المدني، مصدر سبق ذكره، ص51-56.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الفكري والتاريخي التقليدي، مما عزز لديهم إعلاء شأن ذاتهم وتثقيفها بالرؤى التجديدية للترانسندنت الأمر الذي سهل من عملية أنتقال المجتمع الأمريكي، من حالة الجمود والخوف من المستقبل الى حالة التفاعل والتماهي مع كل المتغيرات المختلفة والتي تزامنت مع حركة النهضة الأمريكية الحديثة، وهذا الإهتمام والشغف بالطروحات التنرنسندنتالية شكلت المسارات الفعلية لبنائه الفكري والتي يمكن أن نحدد أهمها بالآتي:

المسار الديني: بداية أنتشار الفكر الترنسندتي أرتبطت بالمعتقدات الدينية وتبنى أيمرسون وأنصار التفكير المتعالي[*] قضية تحرير العقيدة المسيحية للمجتمع من قيود وهيمنة سلطة الكنيسة، لذا يصف البعض طروحاته عن الدين أنها ثورية راديكالية تهدف " لأنشاء وعي عقلاني متوازن ينظر للجوانب الأيجابية للدين وطرق العبادة ومظاهر القداسة والروح الألهية بالإعتماد على ذاته لأكتشافها وتفاعله معها مما يحرر الأنسان من الجوانب السلبية لسلطة الكهنوت الكنسي التي وضعت حواجز كبيرة للعلاقة بينه وبين الخالق"[(1)]، ويرى أن الخضوع الدوغمائي والقدري للتقاليد الدينية وتحديد كيفية تعاطيه مع الخالق، الغت الذات الروحية للفرد والتي هي إمتداد للروح الألهية وحرمته حرية التفكير والإرادة والأختيار لأكتشاف الذات العليا (لله) بعيداً عن أي تصور إسطوري أو ميتافيزيقي مسبق.

ويشير الترنسندتيون أن مفتاح الشعور الديني الصادق ينبع من قدرة الأنسان على التفاعل المباشر مع العقيدة الدينية وفق " قناعته الحرة وإداراكه أنه يمتلك السيطرة لما يدور حوله وتفسيره بشكل فردي مما يقربه أكثر للخالق ولا يتحقق ذلك إلا أذا أرتبط بمخافة الله بإداء واجباته وتكريس محبته له عبر التواضع بمعاملة الأخرين ويكون قلبه رحيماً وعقله مضيئاً عنده يتمكن بإرادته من الوصول للنظام الألهي العلوي من دون إذعانه لإرادة تشبهه"[(2)]، وهذا يفسر لما أنكر المتعاليين الطقوس المسيحية التي ينقلها رجال الدين عن الأناجيل الثلاثة ورسم صورة عن أن مملكة الله هي لحماً وشراباً وفرحاً بالروح القدس بعيد الميلاد، في حين أصل الدين إدراك عظمة حكمة الله والفضائل الإخلاقية والسلام الداخلي والخارجي، لذا

---

[*] بعد أستقلال الولايات المتحدة الأمريكية أنتشر الفكر والثقافة الترنسندتية بين فئات إجتماعية وسياسية مختلفة ومؤثرة في حركة النهضة أنذاك والمعتقدات الدينية للترنسندنت ومبادئها أصبحت تمثل جوهر أفكار وسلوك أنصارها سواء على المستوى الرسمي أم الشعبي ومن أهم الشخصيات التي رسخت المسار الديني للتفكير المتعالي من الآباء المؤسسين بنجامين فرانكلين والداعية الديني ويليام تشانينج والروائي جيمس فريمان كلارك والشاعر والت ويتمان للمزيد ينظر: Lawrence Buell, op- cit, 124- 127

[(1)] ينظر: رالف والدو إيمرسون الحرية والترانسندنتالية، مصدر سبق ذكره، ص 73-75.

[(2)]Walter Leatherbee Leighton, op-cit, p104-110.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

رفعوا شعار ليس من واجب رجل السياسة وضع "تنظيم شؤون الكنيسة ضمن برنامجه وإنما هي تنظم شؤونها وفق ما يؤمن به أتباعها، وأن واجب السلطة الحاكمة وضع تشريعات قانونية تجعل الدولة تخصص أنفاق الأموال العامة لأنشاء المدارس والجامعات والمكتبات وليس إثراء رجال الدين أو بناء كنائس تابعة للحكومة"[1]، هذه الطروحات أسهمت بولادة منظور جديد ومختلف للعقيدة الدينية الأمريكية عما سائد بأوروبا حتى وقتنا المعاصر، وعلى الرغم من تعدد وتنوع الديانات والمذاهب والطوائف المسيحية وتقاليدها لكنها تمثل إمتداد لحق حرية الأيمان والإعتقاد للأفراد وممارسة شعائر أي ديانة وفق فهمهم للحقيقية المطلقة والمثبت في التعديل الأول للدستور الأمريكي العام 1789.

المسار الأخلاقي- الثقافي: تزامنت حركة نهضة الفكر الأمريكي منذ العام 1876 مع إنتشار طروحات الترنسندنتاليت بين فئات المجتمع، مما ساعد على تحقيق الأصلاح الأخلاقي والثقافي وتميزت تلك المرحلة بإنجذاب عامة الجماهير للقيم الأخلاقية المثالية للتفكير المتعالي، ورغبتهم بترسيخه في وعيهم وسلوكهم من أجل التحول للمثال الأعلى الذي يحتذى به أمام الشعوب الأخرى، ووجد أنصار الترنسندنت أن الأصلاحات تلك تتحقق عبر التركيز على التثقيف الأخلاقي الذاتي ومنه "تنمو الأفكار والأفعال لتنشيء الشخصية المثالية بشكلها الفردي والجمعي وأصولها ومبادئها تعد مرادف للدين والأيمان وبما أن قانون العقل الأنساني هو ما يخلق التوازن بين الإرادة والإدراك للشعور بقدسيتها العليا عندها تصبح ميثاق للنظام الإجتماعي وتفكيره لا مجرد شعارات أو كلمات وأنما مصدر للضبط والبناء والتقدم"[2].

أن مسار الفكر الترنسندنتي بهذه المرحلة إهتم بتنمية الشخصية المثالية للفرد الأمريكي عبر النهوض بوعيه الإخلاقي لأنها ستنقله من البربرية للتطور الحضاري وهنا سيترسخ مبدأ الخير المطلق والروح المتوزانة وعقلانية التفكير وتزدهر في عمق ذهن المجتمع وتقوده نحو الإبداع والأرتقاء، وأول خطوة ناجحة كانت بتضمين تلك الأفكار كجزء من "مناهج التعليم المدرسي والجامعي لتنشأة أجيال جديدة بمنظور عقلي خالص لتفسر نظرية المعرفة والأخلاق بشكل مستقل عن الدين ويسمو عليه بأفكار الفضيلة والحرية والحقوق الطبيعية الكاملة مما يعزز الثقة بالنفس والشعور بالأنتماء الوطني فيتحقق

[1]Octavius Brooks, Transcendentalism in New England, a History, Publisher Creative Media Partners, LLc, 2021,p89-90.

[2]Joseph Cook, Transcendentalism, Legare Street Press, 2022, p128-132.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الأصلاح الإجتماعي والأستقرار السياسي"[3] هذه الطروحات أصبحت الأساس الفكري للترنسندنتالية وتمثلاتها تجسدت في الفلسفة الأمريكية وتياراتها الفكرية في القرن التاسع عشر، لتكون القوة الدافعة لتطوره والأنسلاخ عن التصورات السابقة، ليدخل المجتمع المدني – السياسي الأمريكي عصره الذهبي في الأنتاج والأنجاز المعرفي والفلسفي والعلمي، **أما على المستوى الثقافي للترنسندنتالية** تمثلت بالحركات الأدبية والثقافية إذ أزدهرت في ظلها بشكل كبير لاسيما أن حركة الشعر والأدب والفنون ركزت على الفلسفة الأخلاقية وفضائلها والتحرر من الموروث التاريخي والديني وأرتبطت "بالأفكار المثالية والعظمة والخيال والبطولة وحب الطبيعة وربطها بالتجسيد الالهي وهي بكل ما تتضمنه تمثل الروح والوطن وقدسيتها إمتداد لقدسية الخالق والأقتراب من الطبيعة يقربنا الى الله والأنفصال عنها يعني التخلي عن الوحي الألهي والشعور به مما يجعل الأنسان عاجز للتعبير عن ذاته"[1].

أن المسار الثقافي الترنسندتي تميز بأنه إصلاحي ويحمل رسائل أخلاقية تناقش قضايا المجتمع بعبقرية سابقة لعصرها[*]، وركزت على فردية الأنسان وطبيعته الذاتية المستقلة وأهميتها لتمكينه من التحكم بإرادته وخياراته في الحياة والعمل والسياسية، أما الجانب الأخر لهذا المسار أسهم بظهور اللبنات الفكرية الأولى لحركة الحقوق المدنية والسياسية والإقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعد مارغريت فولر[**] من روادها إذ عملت على زيادة الوعي للإهتمام بها لدورها المؤثر لإستكمال عملية إصلاح المجتمع والحفاظ على السلم والإستقرار، وأبرز القضايا التي ركزت عليها عبر إجتماعاتها الدورية مع التجمعات المحلية في بوسطن من 1839–1844، للدفاع عن حرية العبيد والغاء الرق وحقوق العمال وحق المرأة في "المساواة مع الرجل والمطالبة بتقوية قدراتها والسماح لها بالمشاركة السياسية وتميزت الإجتماعات النسوية التي

---

[3]Octavius Brooks, op– cit, p99–106.

[1]Joseph Cook, op– cit, p141–145.

[*] أن الإعمال الأدبية في القرن التاسع عشر مثل الصوت الجديد والمميز للتعبير عن الأمة الأمريكية لذا نجد أن الكتاب و المؤلفين إهتموا بإنتاج ثقافة تعبر عن واقع المشكلات الإجتماعية والسياسية والإخلاقية السائدة بذلك العصر ونقدها وتحفيز المجتمع عبر الكتابات الإدبية والشعر لإصلاحها لتسمو أفكارهم وثقافتهم لمستوى الترنسندنت الأعلى للمزيد ينظر: روبرت سبلر، الأدب الأمريكي 1910 – 1960، ترجمة محمود محمود، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، نسخة منقحة، 2022، ص12– 16.

[**] مارغريت فولر(1810–185) ناقدة أدبية وصحفية أمريكية وهي أول إمراة تدخل المجال الصحفي والنقد إذ تولت رئاسة تحرير صحيفة الدايل وكانت متخصصة بنشر كل الأفكار والثقافة المرتبطة والمعبرة عن فكر الترنسندنتالي وأسهمت أفكارها في دعم حرية المرأة ويمثل كتابها عن المراة من أهم الأعمال التي أسست للنسوية في الولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً للمزيد ينظر:

Tiffany K. Wayne, Woman Thinking: Feminism and Transcendentalism in Nineteen– Century America, Lexington Books Press, 2005, p33–38.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

تقودها بأنها ديمقراطية منفتحة وملهمة وأسهمت بالإرتقاء بالوعي العقلي للنساء و وطورت مهاراتهن في الخطاب والمنافسة والجدل والدفاع عن شؤونهن بعيداً عن هيمنة الرجل والمجتمع"[1]، كونت تجمع نسوي متخصص للدفاع عن حقوق المرأة وعلى الرغم من محاولاتها لتحويل أفكارها لتطبيق عملي فاعل، إذ تعد البذرة الأولى لتأسيس ما يعرف اليوم بالحركة النسوية الأمريكية، لكن واقع البيئة الإجتماعية والسياسية أنذاك حال دون ذلك، ونجد أن نتاجاتها الفكرية والإدبية المتعالية أستطاعت فيما بعد تغيير واقع المرأة الأمريكية المعاصرة لتحصل على العديد من حقوقها، أن مسارات بناء الفكر المتعالي أسهم بتطور البنية الفكرية لما بعد الأستقلال، وأستطاع من تحفيز أجيال من الفلاسفة والمفكرين لإنتاج وتجديد وإبتكار نظريات سياسية معاصرة للفكر الإمريكي، وإستخدمت لتطوير عملية إدارة السلطة والعمل السياسي بما يجعل من الديمقراطية الليبرالية تفاعلية قابلة للتكيف والتغيير مع مستجدات البيئة السياسية والصالح العام للمجتمع.

ثانياً: الترنسندنتالية وتأثيرها بإطروحات الفكر السياسي الأمريكي المعاصر

أن فكر الترنسندنت في القرنين الثامن والتاسع عشر مثل أحد أهم أصول الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، وتحول من حركة دينية– شعبية لمصدر مؤثر بمجالات عدة منها الفلسفة والأدب والدين والشعر وحتى الثقافة الإخلاقية، وعلى الرغم من قوة تأثيره لكن المتغيرات السياسية والإجتماعية والأقتصادية بفعل الثورة الصناعية بالقرن العشرين، أدت لظهور إتجاهات مختلفة بالبيئة الفلسفية والفكرية تدعو لتغيير بنية التفكير العقلي وتجديده لتتواءم مع عصر الحداثة، أن حركة التغيير الفكري والفلسفي الجديدة القائمة على تحليلات الوعي العقلي للوصول نحو الحقائق والمعارف، وإستمدت طروحاتها الفكرية من التفكير المتعالي إذ شكل بيئة خصبة لولادة وتفسير العديد من الظواهر الفلسفية والسياسية ويمكن أن نحدد مدى قدرة تأثير الفكر الترنسندنتي على الفكر السياسي الأمريكي المعاصر بالآتي:

1- إسهامات الفكر المتعالي في تطور بنية النظرية السياسية المعاصرة

أن الترنسندنتالية وأفكارها الأبداعية الفلسفية المليئة بالمثالية وروحية الوعظ الأخلاقي والديني كجزء من سمو تفكيرها المتعالي، لم تعد تتواءم مع متطلبات الواقع الجديد للقرن العشرين الذي يبغي الوصول للحقائق بنتائج أسرع وأكثر واقعية، والحياة المادية للأنسان والناتجة عن التقدم العلمي والصناعي

[1]Tiffany K. Wayne, op- cit, p55-61.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

والتكنولوجي أعادت تعريف علاقته بالبيئة المحيطة به على مختلف المستويات، وهذا لايعني أن الفكر المتعالي قد تلاشى دوره أو ضعف تأثيره الفكري وإنما ظل مصدر إلهام لظهور نظريات سياسية وأفكار فلسفية أسهمت بحركة تطور بنيته الفكرية، وقادت مخرجاته الفكر السياسي الأمريكي المعاصر لآفاق أوسع ولها "هوية خاصة ومميزة بعد أن كانت مستقبلة ومتأثرة بالفكر الأوروبي، وأتسمت الكثير من إتجاهاتها الفكرية بالأصالة والريادة ومتفوقة على غيرها بالتطبيق والفعل والتأثير وحاضرة في الصفوف الأولى لبيئة الفلسفة العالمية، ولهذا أطلق على تلك المرحلة بالعصر الذهبي والذي إمتد من عام 1885-1945"[1].

ومن بين تلك النظريات السياسية المتعددة سيتم التركيز على نماذج مختارة كان وقع تأثيرها واضحاً في الحركة الفلسفية والعمل السياسي والتنظيم الإجتماعي بالولايات المتحدة الأمريكية لعصر الحداثة ومابعد الحداثة[*] وهي:

أ- **الذرائعية:** وتسمى(البراغماتية)[**] وهي أحد المخرجات الفعلية لتأثيرات الفكر الترنسندتي ودوره في تطور إتجاهاتها الفكرية، المعارضة للإتجاهات التقليدية في تفسيرها للظواهر المحيطة بالمجتمع ورفضها لنتائجها، والذرائعيون يجدون أن"المبادئ الأنسانية والتفكير العقلي الواعي يمثلان الحقيقة المعرفية بدقة لأنها نتاج للتفاعل بين الكائن الحي وبيئته وهنا يصبح الفكر أداة للتنبوء والتحليل والتنفيذ ووضع حل للمشكلات التي ترافق واقعه"[1]، هذه الرؤية الفكرية وجدت أن الأفكار تقاس بنتائجها العملية المحققة

---

[1]Octavius Brooks, op- cit, p124-127.

[*]عصر الحداثة وتسمى بالعصرنة (1436-1939) وبدايتها في مجال الأدب والفنون ثم أنتقلت للمجال الفكري والثقافي والتاريخي وهي ترتبط بتطورالممكننة الصناعية، وتتسم بالعقلانية المستنيرة والحرية الفردية وتركز على ان الأنسان متفرد في تفكيره وخياراته وسلوكه أما ما بعد الحداثة ظهرت من(1945-1995) وفي عهدها ظهرت نظريات سياسية مؤثرة على حركة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر مثل التشكيك والتقويض والعدمية والتفكيكية للمزيد ينظر عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر للنشر، دمشق، ط4، 2016، ص16-19.

[**]البراغماتية إتجاه للتفكير الفلسفي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية العام 1870 ويمثل إمتداد فكري لطروحات الفكر المتعالي وطور هذه الفلسفة كل من المفكرين وليم جيمس وتشارلز بيرس وجون ديوي التي ترى أن الفكر هو نتاج للتفاعل بين الأنسان والطبيعة وأثرت أفكارها على إنتاج نظريات أخرى مثل نظرية التفاعل الرمزي والتأثير المباشر والمعتدل للمزيد ينظر: =

=Cris Voparil, Reconstructing Pragmatism, Publisher Oup USA, 2022,p55-60.

[1]Cris Voparil, op- cit, p88-90.

وللمزيد ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، 2011، ص25-28 .

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

لأهدافها على أرض الواقع وليس عبر التنظير لها وأنتظار نتائج تجريبها، لتتحول الذرائعية من أولى الأتجاهات الفكرية الرافضة لما يسمى بالحقائق الثابتة أو المطلقة، وترى أن الفكرة التي تثبت صحتها عملياً هي الناجحة والنافعة وتعد المعيار الفعلي للحقيقة، **ونجد أن البراغماتية تقوم على ثلاث مرتكزات رئيسة وهي كالآتي:**

الأولى وضعها المفكر تشارلز بيرس وتقوم على الشك- الأعتقاد والقيم الأنسانية وتتلخص بأن وظيفة التفكير العقلي "لتخليص الأنسان من الشك وتزويده بعقيدة راسخة مرتبطه بإدراكه الواعي لينظر للقضايا الأنسانية ومبادئها وقيمها الأخلاقية بمنظور ما تستطيع تحقيقه من منافع له وللأخرين وتضمن للجميع نتائج ناجحة ومضمونة عندها تتحقق أهدأفهم على أختلاف منفعتها لكل فرد منهم"[2]، وطبقاً لرأيه لايوجد نجاح أو قيمة لأي فكرة إلا اذ حققت غايتها ونتجت عنها منفعة ملموسة ويتم الوصول لها عندما يمتلك إستعدادً عقلياً واعي يمكنه من النجاح عند تطبيقها.

الثانية وضعها المفكر وليم جيمس وتقوم على الذاتية الفردية والإرادة الحرة وعدت المنطلق الفكري الرافض لفكرة الواحدية المثالية الهيجلية التي تقوض التفكير الخلاق للأنسان[*]، وبما أن الذات الفردية هي أساس بناء وتنظيم الشخصية وإدراكها العقلي والحسي للدين والأخلاق والحرية والتفاعل معها سواء بذاته الخاصة أو مع الذوات المجتمعية، فأن الإدراك والتفاعل لايتحقق إلا بوجود إرادة حرة مستقلة تمنحه حق الأختيار والإعتقاد والأيمان بما هو مقدس أو فطري أو روحي ليصل لمستوى الأرتقاء العقلي ويتأكد أن العالم وما يتضمنه من حقائق "بالأصل من صنع عقل الأنسان وقدراته للتعامل والتكيف معها لتصبح الحقيقة لديه متعالية وتتجاوز قيمتها أي حاجز يقف امام إرادة الذات الفردية التي تمتلك كل المؤهلات لتساعده على تأدية الأفعال والممارسات العملية لحياته المستقبلية وفق إرادته الحرة فقط"[1]، والمنظور البراغماتي لجيمس عن تلك الذات وإرادتها قسمها لثلاثة أنواع هي "الروحية والمادية والإجتماعية أما

---

[2]Mihaela Kelemen, Nick Rumens, American Pragmatism and Organization, Publisher Routledge, 2016, p128-132.

[*] أن فكرة الواحدية المثالية تمثل الرؤية الفكرية للفيلسوف الألماني هيغل الذي وجد ان الكون والوهية الله واحدة ومترابطة سوياً، وعلى الرغم من أمتلاك ميزة أساسية للأنسات تتمثل بالوعي الذاتي لكنه لايمكن إدراكها الى بالسموالتلقائي بعلاقته بالخالق عبروصوله لمرتبة التفكير والإدراك المطلق وفهم الوجود لايتم الا بشمولية مطلقة لايتسطيع كل أنسان الوصول لها للمزيد ينظر:. Ibid, p142-146

[1] ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، مصدر سبق ذكره، ص52-57.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

وظائفها تتمثل بالسعي المستمر للتكامل والتميز عن الأخرين في عمليات التفاعل وإكتساب الخبرة وبما يتناسب مع تطورات الحياة لأن مسارها غير جامد وإنما دائم الحركة والتطور وهو ما يسمح لها بالتكيف المرن لكل تغير يحدث من حولها"[2]، **أما الثالثة وضعها المفكر جون ديوي وتقوم على العقلانية الأداتية والسسيولوجية** وركزت على قضايا إصلاح المجتمع عبر الأرتقاء بتربيته وثقافته وسلوكه الفردي والجمعي، ونجد أن طروحاته الفكرية سعت "لإستخدام وتوظيف الفلسفة العلمية وعَدَ مخرجاتها الأساس التشريعي لبناء مجتمع ديمقراطي يمتلك رؤية عقلانية وله القدرة ليوازن بين القيم الفردية والجماعية والمجتمعية بمرونة عالية ويحولها لنظام إجتماعي منضبط يواكب المتغيرات الحاصلة في الحياة بإستمرار"[3]، ويرى ديوي أن الديمقراطية أسلوب حياة وتنظيم للعمل الإداري والقانوني والسياسي وليست مجردة وسيلة لتداول السلطة والمشاركة السياسية، وهي تقوم على الحرية والتعاون الجماعي والمسؤولية المشتركة، والوصول لذلك يتطلب وجود نمط من التفكير العقلاني يكفل إقامة مجتمع وفق ذلك الأسلوب.

وهذا يستلزم إمتلاك مقومات عقلية عالية الوعي والإدراك لتحليل وإحتواء كل ما يعيق الحفاظ عليه، ولايوجد أفضل من التفكير البراغماتي الذي سيدرك مبكراً أصل ونوع مشاكله ويسعى لإيجاد الحلول لها بأي وسيلة ممكنة من دون النظر لمدى شرعيتها أو غايتها الأخلاقية أو حجم فوائدها وأضرارها طالما أنها تثبت جداراتها في تحقيق الغاية، هنا تتجسد العقلانية الأداتية لرؤيته الفكرية عبر التعامل مع نظرية المعرفة والمبادئ والقيم الأخلاقية والدينية وأفكارها "بالتجربة وما يصدر منها منفعة متكاملة بعد سلسلة من التجارب والأخطاء بالتحليل العقلي وعندما تنجح يتم تعميمها وهنا يتحقق الأنفتاح الأكبر للتفكير الطبيعي للأنسان بلا قيود أو محددات ويصبح العقل ومنطقه وأفكاره أحد الأدوات المنتجة لأكتساب الخبرة والعلم والقدرة على الأنتاج الدائم"[1]، وبذلك تصبح عملية أستحداث النظريات والأفكار وتجديدها وفق التفكير العقلي– العملي أداة في متناول الأنسان وخدمته من غير تقييده أو تحديده ،لأن كل الأفكار المرتبطة بنظرية المعرفة تولد بالأصل من التفكير العقلاني والخبرة والنشاط الذاتي للفرد.

2– الواقعية النقدية الجديدة: أن البيئة السياسية والإجتماعية الأمريكية في بداية القرن العشرين وما بعد الحرب العالمية الثانية، كانت مهيئة لظهور هذه النظرية التي سعت لتحرير المعرفة من الفكر الميتافيزيقي

---

[2]Mihaela Kelemen, Nick Rumens, op– cit, p166–168.

[3] ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراغماتية، مصدر سبق ذكره، ص126–128.

[1]Cris Voparil, op– cit, p133–135.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

والمثالية التقليدية ورفضت فكرة وضع الوعي العقلي ومدركاته بشكل عمودي وأنه مطلق التفسير وثابت النص لايتغير وأن دور الأنسان في تفاعله مع المعرفة يقتصر على الأقتباس منها بلا تحليل أو نقد، في حين الواقعية النقدية الجديدة تضعه أفقياً وتخضع كل مايحيط به للتحليل والنقد العقلي بمعنى أن للعقل وتفكيره دور مهم في التفاعل والتماهي مع المعرفة وإتجاهاتها، وهذه النظرية وضع أسسها الفيسلوف ويلفريد سيلارز وأسهمت طروحاته الفكرية[*] في إحداث تغيرات جذرية في عملية التفكير بالفلسفة الأمريكية وطبيعة نتاجاتها التي أثرت بالفكر الأمريكي المعاصر بالقرن الواحد والعشرين وطبقاً لمنظوره الفكري فأنها تمثل "عالم الواقع الذي يشمل كل الحقائق فالمعرفة لديه هو ما نحصل عليه عبر حواسنا ومدركاتنا العقلية ونظرته للمجتمع تتجسد بكونه ينشأ وينظم وفق قوانين الطبيعة وكلما تماهى معها كلما نجح وإستقر اما رؤيته للقيم الأخلاقية فأنها تخضع للتحليل النقدي لتكشف مدى قوة ثباتها وتأثيرها على الذات الأنسانية[1].

ونجد أن الأتجاهات الفكرية لهذه النظرية بعد سيلارز تطورت ووضعت العقل في أعلى قمة التفكير والإدراك ليسيطر على الوجود المادي للأشياء ويتحكم بعلاقته مع بيئته سواء الطبيعية أو الإجتماعية، مما قاد لتطور الفلسفة والعلوم والتقانة التكنولوجية والرقمية نتيجة لرفع كل القيود عن التفكير العقلاني وترك الماضي والتطلع للمستقبل، ويتجه نحو مجالات مادية متعددة للأنفتاح على العالم الواقعي بلا شروط ومن هنا بدأ ما عرف بالتأقلم مع الجوانب المادية والأنسلاخ تدريجياً عن الجوانب الروحية، لتتحدد علاقة الفرد بقيمه الروحية والدينية وتصبح ذاته المدركة للأيمان تمثل الأقتراب من الحقائق والواقع الملموس لا المحسوس بدافع الوحي الديني، لأنها صنعت "موقفاً معرفياً متوازناً بإقرارها بواقعية الأشياء المادية وغير المادية ومعرفتها من دون أن تكون للمعرفة دور في إدراكها لأن الذات الفردية تدركها نتيجة تفاعلها مع العالم الواقعي والتفكير العقلي هو حلقة الوصل بين الذات وبيئتها وتمنح الأنسان الوصول لذروة الخير الأسمى أما الشر سيكون العائق لإدراكها لأنه يضعف قدرة العقل للتحليل ويلغي الرابطة بين الذات

---

[*] ويلفريد سيلارز (1912–1989) فيسلوف أمريكي ومن أهم رواد النظرية الواقعية النقدية الجديدة ومن أشد المدافعين عن الواقعية العلمية وقدرتها على تفسير نظرية المعرفة والظواهر المحيطة ببيئة الأنسانوأفكاره أسهمت بتطوير حركة الفكر السياسي المعاصر لاسيما ما يتعلق بقدرة الأنسان على ضبط سلوكه وتحكمه بإرادة الواعية العقلانية ودورها في تحديد أنطباعاته الحسية ومفاهيمه العقلية للمزيد ينظر:

Peter Olen, Wilfrid Sellars and The Foundations of Normativity, Publisher Palgrave Macmillan London, 2016, p88–90.

[1] ينظر: أحمد عبد الحليم عطية، القيم الواقعية الجديدة، النور للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، 2010، ص57–62.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

وواقعية الأشياء"[2]، ويصف سيلارز النظرية بأنها الأسمى وتتفوق على النظريات الأخرى لكونها تضع نسقاً فكرياً متوازن بين الأبعاد الفكرية للعقلانية والتجريبية والواقعية والتحليلية لتقريب الروابط بين نظرية المعرفة وذاتية العقل المدرك للواقع، ويجد أن مجموعة السمات والخصائص التي تتمتع بها تلك النظرية ساهمت بنجاح خطط تنشأة وتثقيف الوعي العقلي للمجتمع الأمريكي.

وتتحقق عملية إصلاحه عبر تحريره من قيود الموروث التقليدي الديني السابق، ويكون "الأعتناء بذاته روحياً بعيداً عن السيطرة على تفكيره وسلوكه وإنتمائه للدين وتقديم تفسير جاهز لفكرة المقدس والأيمان والأعتقاد وحرمانه من حريه إدراكها وفق منظوره العقلي ومتى ما شعر بحرية ذاته الروحية سينمو بشكل صحيح ويبتعد بإرادته عن إرتكاب الخطايا بمختلف أشكالها"[3]، أما مسألة الوصول لحالة النضج الإجتماعي وعقلانية وعيه وإدراكه تتم عندما يتحقق الأنسجام المتكامل بين الذات الفردية والطبيعة بعد إصلاحها مادياً بالأعتناء بميوله وحاجاته الخاصة في العالم الواقعي، ومنحها الفرص لتصبح فاعلة ومؤثرة في مجتمعها وقادرة على إتخاذ القرارات والخيارات الحرة بنفسه بلا شروط أو قيود، وكلما عادت بالنفع عليه أسست له حياة ناجحة لتنعكس نتائجها على الأخرين وهنا يصبح النضج والإصلاح للمجتمع أمر واقعي وملموس.

3- الجماعانية: وتسمى بالنظرية المجتمعانية وتعود جذور نشأتها لأواسط القرن التاسع عشر في بريطانيا[*]، وبرزت طروحاتها السياسية والإجتماعية كرد فعل لطبقة العمال في المجتمع الأوروبي ضد الأفكار الليبرالية التقليدية التي تقدس الفردية المطلقة وتكرس الطبقية والتمايز الإجتماعي، أما في الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت في النصف الثاني للقرن العشرين وتزامنت مع المتغيرات البيئة السياسية والإجتماعية لما بعد الحداثة، وأفكارها أنتقدت الجمود الفكري الذي "أصاب الليبرالية لعجزها عن إدراك وإحتواء التنوع الجماعتي وحقوقهم وبقاء تركيزها على الفردية الذاتية المطلقة لذا سعت النظرية لتجديد

---

[2]Peter Olen, op- cit,110-113.

[3] ينظر: أحمد عبد الحليم عطية، القيم الواقعية الجديدة، مصدر سبق ذكره، ص147- 149.

[*] يعد من المذاهب الفكرية للتكاتف الإجتماعي وأول من نشر جوهر فكرته جون جودين بارمبي و وليم لوفيت العام 1841 عندما ظهر ما عرف بالحركة التشارتشية بأنكلترا للمطالبة بحقوق العمال ومساواة أجورهم وساعات عملهم وفي منتصف ثمانينيات القرن العشرين ظهرت بالولايات المتحدة الأمريكية لتؤكد على أهمية ودور الهوية الأجتماعية لأستقرار المجتمع وهي تقف بالضد من الفردية المتطرفة والمطلقة للمزيد ينظر:

Katrina Forrester, In The Shadow of Justice, Princeton University Press,2019 p24-28.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

وإعادة صياغة الفكر الليبرالي عبر التخيف من سطوة الفردية والعقلانية المادية وتشجيع أخلاقيات المسؤولية الجماعانية"[1]، وترى أنها ستحقق وتحافظ على الأنسجام الداخلي للمجتمع الأمريكي الذي يتميز بالتعدد والتنوع، وبما أن توجهاتهم وأهدافهم وغاياتهم لاتسري على نسق واحد وبعضها مختلف او متضارب عن الآخر، تصبح قيمة الفردية المطلقة لاتتناسب مع وضعهم بالتنظيم والأستقلالية والأخيرة تمثل القاعدة الأخلاقية لنظامهم الإجتماعي.

و"مبدأ الأخلاق هو الفكرة الأساسية للتغلب على التعارض بين حق الفرد والجماعة ومن ضمن الواجب والمسؤولية المشتركة لكلاهما، والفردية تجعل الشخص يشعر بالآستقلالية والحرية لتحقيق ذاته لكنها لن تصل لمرحلة الأستقلالية التأسيسية لأنها أحادية التوجه والمضمون بينما الجماعانية تستوفي شروطها لأنها تمثل نظام قيمي للمجتمع التعددي بأكمله"[1]، وأهتم رواد الفكر الجماعاني بالتركيز على جوهر الخير المتأصل بالعقل المجتمعي وتمثل النتاجات الطبيعية لكل الإرادات الفردية الخيرة، وأصل الفكرة يرجع " للتفكير الترنسندتي إذ أكد أن الإرادة الذاتية المستقلة للفرد والجماعة تقود لتحقيق السعادة ولايتم الشعور بها والتمتع بمضمونها إلا عبر تكوين رابط قوي ما بين المنطق العقلي وتفكيره وبين الجوهر الروحي للخير الأسمى بنفوس البشر لينتج ترابط شامل بين الفرد والمجتمع في الأهداف والمصالح من دون تعارض"[2] ومعنى ذلك ان التفكير الجماعاني يمثل الرؤية المعاصرة للأفكار الترنسندنتالية وأحد أدواته لنشر مفاهيم وثقافة التعدد والتنوع الإجتماعي الذي تميز به الشعب الأمريكي وتطوير عملية إدارته ليتوافق مع مستجدات العصر في النصف الثاني للقرن العشرين، وتعد أفكار جون راولز[*] من أبرز الطروحات التي سعت للتوفيق بين الحق الفردي والجماعاتي من منظور نظرية الأخلاق والعدالة لإقامة تنظيم إجتماعي وسياسي يعمل على ترتيب الحقوق والواجبات على أساس المنافع الإجتماعية والإقتصادية ووضع ثلاثة مرتكزات لضبط تنفيذها وتوزيعها وهي[3]:

---

[1]Rudolf Stammler, The Theory of Justice, Law& Justice Press, 2022, p141-145.

[1]Katrina Forrester, op- cit, p69-73

[2] ينظر ستيفن سيدمان، معرفة متنازع عليها النظرية الإجتماعية في أيامنا، ترجمة مرسي الطحاوي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، قطر، 2021، ص204-209 .

[*] جون راولز(1921-2002) فيلسوف سياسي أمريكي ومتخصص بالفلسفة التحليلية أسهم بتطور إتجاهات الفكر السياسي الأمريكي المعاصر لما بعد الحداثة خاصة ما يتعلق بنظرية الأخلاق والعدالة وتقويم الليبرالية السياسية للمزيد ينظر:

Rudolf Stammler, op- cit, p152-153.

[3]Katrina Forrester, op- cit, p87-91

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

أ- **الحرية الطبيعية:** لكل فرد حق متساو للحريات المدنية والسياسية وبذات الوقت تكون متساوية ومتوافقة مع الحريات الجماعية ليتحقق ما يعرف مبدأ الحرية المتساوية الكاملة.

ب- **المساواة الليبرالية:** تنص على أن يحصل الجميع على الحقوق نفسها طالما يقومون بنفس الواجبات، والنظام الليبرالي يعد نسقاً لتأسيس وتنظيم المساواة لذا عليه التعامل مع الكل على إختلاف تنوعه وتعدده على قدم المساواة، وبما يتفق مع مبدأ التوفير العادل وتكافأ الفرص المنصفة التي تمثل الخيار المنطقي للعقلاء والأحرار.

ت- **تعظيم حالة الرفاه:** أن تحسن المستوى المعيشي وأرتفاع النمو الأقتصادي بالمجتمع سيحقق مبدأ النفعية الأكبر ليحصد كل واحد مصلحته وغايته بالحياة والعمل وفق نظام توزيعها بعدالة لينتج عنه أكبر قدر من السعادة لأعلى نسبة من البشر.

وأفكار روالز تعد رد فعل ضد التوجهات الليبرالية التي ظهرت في عهد الرئيسين نيكسون وريغان وأيضا ضد الفكر الليبرتاري وأيديولوجيته السياسية، وكلاهما وضعا حقوق ومصالح الذات الفردية لتتفوق على الذات الجماعانية، مما حول إدارة السلطة وتنظيم عقدها الإجتماعي ليدعم مصالح الأقلية السياسية والأقتصادية ويضحي بحقوق ومصالح الأغلبية، وإطروحاته سعت لتصحيح مسارها بوضعه لمنافذ فكرية توازن مابين مسؤولية الفرد والمجتمع عبر جعل قيمة الفرد تساوي قيمة المجتمع وبشكل يضمن مصالح الكل ورفاهيته، وهذه الرؤية أكدها **مايكل ساندل**(*) وأشار أن عملية إستمرار حالة التوزان تلك ستؤدي لأنشاء "مجتمع عادل يوزيع الثروات والحقوق والواجبات بحسب قدرة ومجهود كل فرد فيه ومن منطلق الفضائل الأخلاقية ستصبح قيم العدالة لديه جزء لايتجزأ منها وقاعدة أساسيه لتنظيم قراراته السياسية وإدارة شؤون أفراده بما يخدم غاياتهم ويحترم معتقداتهم ليعم الأستقرار والأمن الدائم في ظل الدولة العادلة"[1]، وبحسب هذه المعطيات نرى أن التفكير الجماعاني يدمج بين العدالة والأخلاق والحرية بنسق متناغم ومنسجم، ويشيرون أن مبادئ العدالة والحرية تستمد قوتها من الفضائل الأخلاقية المترسخة

وللمزيد ينظر: ستيفن سيدمان، معرفة متنازع عليها النظرية الإجتماعية في أيامنا، مصدر سبق ذكره، ص223-226.

مايكل ساندل(1953) فيلسوف أمريكي وأستاذ جامعي بجامعة هارفارد ويمثل أحد التوجهات المعاصرة للجماعانية وطروحاته الفكرية ركزت على الأختلافات المجتمعية الناتجة عن التغيير الأقتصادي لسوق العمل الحر وغياب عدالة التوزيع وضعف الأستحاق الأجتماعي بتكافأ الفرص في العمل والحياة وحتى المشاركة السياسية للمزيد ينظر

Michael J. Sandel, The Tyranny of Merit, Publisher penguin,2021,p33-37.

[1]Ibid, p61-64.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

بالعقل الجمعي، وتحرير التفكير الأخلاقي من الرغبات والشهوات والمصالح الفردية وتحويل قيمتها منتظماً للضبط والواجب والمسؤولية المشتركة بين الجميع، ستجعل من العدالة أولوية وقيمة عليا مقدسة كما الحرية وهنا يتحقق جوهر الخير وإيجابياته لخدمة الصالح العام.

2- توظيف مخرجات التفكير الترنسندنتي لتعزيز فاعلية العمل السياسي

بدأت البنية الفكرية والإجتماعية الأمريكية تسعى نحو تحقيق سلسلة من العمليات الإصلاحية لتطوير العمل والممارسة السياسية، وأيضا تعزيز إستدامة الديمقراطية الليبرالية ومنطلقاتها الفكرية والمؤسساتية، وإعتمدت على توظيف التفكير الترنسندنتي لمخرجات النظريات السياسية المعاصرة كأحد الآليات لتحفيز وإستجابة البيئة المجتمعية لضمان نجاحها،لاسيما بعد تحول نتائج حركة الحقوق المدنية[*] لأمر واقع عبر التفاعل مع الهويات الفرعية والأثنية والعرقية والثقافية للمجتمع بشكل طبيعي، وعَدَها إمتداد للهوية الوطنية والقومية الجامعة للمشتركات الفكرية للديمقراطية الليبرالية التي يؤمنون بها وتمثل أسلوب لتفاعلهم وسلوكهم الإجتماعي والسياسي لتتغير "أيديولوجية الأنصهار الإجبارية التي سادت سابقا وأجبرت الأثنيات والأعراق الأخرى للتخلي عن هويتها وثقافتها لتندمج مع العرق الأبيض وتحل محلها أيديولجية الأستيعاب لتمثل قيمة الإختلاف حيزاً وصوتاً مهم ومؤثر في حياة المجتمع والممارسة السياسية"[1]، وميزة التعدد المجتمعي وتنوعه وظفته ادارة السلطة لزيادة تقدمها في المجالات الأقتصادية والعسكرية والدبلوماسية وحتى الثقافية، ووجدته مفتاح لإزدهار الدولة بشكل مستدام في القرن الواحد العشرين عبر جذب " المواهب والمهارات والقدرات الأصيلة والمتميزة ومنحها فرص متساوية للمشاركة بفاعلية في مختلف مجالات الحياة وترى أن استثمار حالة الأختلاف والتنوع وإحتوائها في مركز وجسد واحد سيسمح بتحويل كل نتاجاتهم لقوة فاعلة تدعم حركة التقدم وخططه الإستراتيجية المستقبلية"[1].

---

[*] بدأت مظاهرها الفعلية تأخذ صداها في ستينيات القرن العشرين عندما طالب الأفارقة عبر الأحتجاجات السلمية بالحصول على حقوقهم المدنية والسياسية وتحقيق المساواة لهم، وهذه الحركة إستمرت لعقود طويلة على شكل موجات إحتجاجية تدعو لأنصافهم ومنحهم حقوقهم المعطلة ولم تكن مقتصرة على السود وأنما شملت أعراق وأثنيات أخرى مثل اللاتينيين والأسيويين والمسلمين والنساء وغيرهم وجميعهم رفعوا شعار اللاعنف ضد العنصرية والتهميش والتمييز أمام السلطة الحاكمة للمزيد ينظر: هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة شعبان مكاوي، المركز الوطني للترجمة، القاهرة، 2005، ص88-91.

[1] Elinor J. Pierce, Jon M. Sweeney, Pluralism in Practice, Publisher Orbis Books, 2023, p34-37.

[1] ينظر: هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية، مصدر سبق ذكره ص 106-109.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

هذه الرؤية قادت لخلق وحدة ترابط مابين المختلفين على مستوى الخطاب والسلوك السياسي للفاعلين في إدارة السلطة، وإعتمدتها ضمن الخطط والبرامج الإصلاحية للعمل السياسي، وهذا يفسر لنا كيف أن الأنتخابات المحلية والتشريعية منذ أواخر القرن الماضي برزت فيها شخصيات وقيادات حزبية وعسكرية وإدارية وتشريعية من أصول غير الأنكلو– سكسونية، ودورهم المؤثر عزز قوة الترابط المجتمعي المستند على جوهر التفكير الديمقراطي الليبرالي كأسلوب للحياة، وهذه النخب الجديدة والفاعلة أستطاعت من نقل تقاليدها وثقافتها لتصبح أحد أركان المنظومة الثقافية الوطنية وأهم مسارات تطوير الأمة الأمريكية المعاصرة، عبر أنشاء شبكات من الترابط الفكري والثقافي المرن والمتوزان في تعاملهم وتفاعلهم مع بعض بعيداً عن التمييز او العنصرية أو التهميش، والأهتمام بتطوير هذه الميزة إجتماعيا وسياسيا يدخل ضمن مجال إستثمار رأس المال الإجتماعي المعاصر[*] لتجديد بنية المجتمع المدني – السياسي كونه الدرع الحامي للديمقراطية الليبرالية من العجز أو الجمود ومن دون ذلك المجتمع لا وجود لها وستتعرض للأنهيار، ما دفع الفاعليين السياسين "بإعادة تنظيم المجتمع من منطلق مبدأ الخيار العقلاني والمساواة والعدالة التبادلية وتعددية الرأي وإرادة الأغلبية في صنع القرارات لضمان بقاء الخطاب الحر في البيئة الديمقراطية ليعبر المواطنين عن خياراتهم وفرصهم ومطالبهم المشروعة أمام من يتولى زمام المسؤولية السياسية للدولة"[2].

ويمكن أن نحدد أهم آليات تطوير فاعلية العمل السياسي بالآتي:

أ– **إعتماد الديمقراطية التفاعلية**[*]: هذا النهج سيعزز من عملية إصلاح العمل والممارسة السياسية لاسيما بعد تعرض المجتمع الأمريكي لسلسة من الأزمات الأقتصادية وضعف المساواتية الليبرالية والعدالة التوزيعية، مما جعل من البيئة "الديمقراطية الليبرالية تتجه نحو الأنغلاق على نفسها وتصبح فاشلة في

---

[*] رأس المال الأجتماعي يمثل القدرة أو الآلية التي تنشيء الثقة في المجتمع وتساهم في أنتشارها سواء بشكل جزئي أو كلي ويمكن أن يتجسد في مستويات مختلفة مثل الثقافة أو الدين أو الأقتصاد ويشكل أحد ركائز المجتمع الأمريكي لأنه يوازن ما بين النزعة الفردية والروح الجماعية للمزيد ينظر: أسعاف محمد، رأس المال الأجتماعي مقاربة تنموية، مجلة دمشق، المجلد 31، العدد 3، لسنة 2015، ص 142–146.

[2] ينظر: أسعاف محمد، رأس المال الأجتماعي مقاربة تنموية، مصدر سبق ذكره، ص153–158.

[*] وتمثل أحد الأنماط المتطورة للديمقراطية الليبرالية وهي تعتمد على التفاعل المباشر بهدف خلق إرادة مجتمعية تعمل من أجل تكوين المجتمع والدولة العادلة كما ان هذا النوع من الديمقراطية له القدرة على الأصلاح بشكل أكبر للأنظمة الحكومية المحلية والوطنية التي تخدم مخرجاتها الصالح العام للمزيد ينظر:

Carol C. Gould, Interactive Democracy, University of New York, 2014, p11–15.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

نظر مجتمعها، وأن قيمها ومبادئها تحولت لمجرد شعارات وأن من يتحكم بإداراتها مجموعة من النخب الأقتصادية العملاقة التي تتحكم بصنع وإتخاذ القرار السياسي الضامن لمصالحها على حساب المصلحة العامة"[1]، هذه الأجواء سادت في عهدي الرئيس بوش الأب والأبن مما جعل من مخرجات إدراتهم تقوض الديمقراطية وتحدد إتجاهها نحو ضمان مصالح إرادة الأقلية السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وأصبح الأغلبية ينظرون نحو العملية السياسية وإدارة الحكم والمؤسسات والأنتخابات بعدم الثقة والرضا.

مما هدد مكانة البيئة الديمقراطية لأتساع الفجوة بين تنظيراتها الفكرية ومخرجاتها السياسية والأخيرة لاتمثل منها شي حقيقي، من هنا بدأت الأصوات تعلو بضرورة إعتماد منهج الديمقراطية التفاعلية من أجل تقليص الفجوة بين "الإدارة السياسية ومؤسساتها والرأي العام الأمريكي وأيضا إرجاع الثقة والشرعية للديمقراطية الليبرالية عبر إستعادة الرضا من قبل العقل الذاتي والجماعتي وتمكينه ليصبح فاعل ومؤثر يتسطيع إحداث متغيرات قانونية وسياسية وإقتصادية مشتركة ونافعة للجميع"[2]، ونجد أن مظاهر هذا النوع من الديمقراطية تحقق عندما أنتخب الرئيس الأمريكي أوباما وفي عهده تمكنت إدارته، من تطبيقها على المستوى الرسمي والشعبي إذ أصبح المواطن عضواً في النظام وإدارة الحكم من خلال إعتماد خياراته العقلانية وفق مبدأي المشاركة والمسؤولية الجماعية لإدارة شؤون حياته.

ب- الحقوق السياسية التشاركية: وتمثل أعلى مستوى للتمتع بالمواطنة الكاملة وطبقاً لها "يمتلك المواطنين الحق الكامل بإختيار من ينوب عنهم لصياغة العقد الإجتماعي – السياسي ولهم القدرة الفاعلة للمشاركة في صنع وإتخاذ القرار وبما يتناسب مع مصالحهم ومتطلباتهم وبإمكانهم إحداث أي تغيير قانوني أو سياسي طالما يخالف أو يعترض الحقوق والمصالح العامة"[1]، وعد هذا الأجراء من أهم خطوات إصلاح وتطوير العمل السياسي لكونه يتماهي مع **مبدأ الحريات الأساسية للمساواة الليبرالية** التي تؤمن أن المواطنين هم أحرار ومتساويين في إختياراتهم ومنها السياسية، وتطبيق هذا النوع من الحقوق يستند **لمبدأ الفرص المتساوية للمشاركة** وممارسة العمل السياسي سواء عبر الترشح أو الأنتخاب أو الأنتماء للحزب الذي يمثل مصالحه الخاصة والعامة للجماعة التي ينتمي اليها، وطبقا لراولز فكلا

---

[1]Robert W. Maloy, Building Democracy for All: Interactive of Government and Civic Life, Publisher Edtech Books, 2020, p69-74.

[2]Carol C. Gould, op- cit, 38-42.

[1]Robert W. Maloy, op-cit,84-86

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

المبدأين ليس غريبين عن منظور الثقافة السياسية العامة في المجتمع الديمقراطي الليبرالي الأمريكي، لكن تم تعطيل العمل به لسنوات بسبب حصر هذه الحقوق لفئات مجتمعية محددة من العرق الأبيض والموالين لهم لخدمة مصالحهم وإحتكار مخرجات العمل السياسي للوصول لأهدافهم.

أما في الوقت الحاضر تم إعادة ضبط وتنظيم هذه الحقوق عبر منحهم مساحة بموجب القانون بأن لهم "لحق للمشاركة في "صنع القرار الجماعي فيما يتعلق بالسياسة العامة للدولة الأتحادية والولايات عن طريق المشاركة المباشرة بالبرنامج الأنتخابي للأحزاب أو تقديم المقترحات والمطالب للجهات الرسمية لصانع القرار المحلي والأتحادي أو غير المباشرة عبر التأثير بالفاعليين السياسين من خلال جماعات الضغط المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني والأعلام الرقمي"[2]، ومن أيجابيات هذا الأجراء ليس إصلاح العمل السياسي وحسب وأنما ساهم بالموازنة مابين إرادة القوى الشعبية والفاعليين السياسين، لتصبح مسألة السيادة الشعبية والمساواة السياسية ليست حالة مؤقتة أو توظف لإغراض إنتخابية، وأنما دائمة وأساسية ومثبتة قانونيا وقابلة للتنفيذ لأن عملية إتخاذ القرار الجماعي المشترك سيسهم بإنتاج بيئة ديمقراطية ديناميكة مرنة قادرة على تنفيذها لتحصد نتائج أسرع حلاً وأكثرة قوة، مما سيعزز من الفهم المستنير للتفكير العقلي للذات الفردية والجماعية ويمنحها وعي أعمق لفهم طبيعة العمل السياسي وأهمية ترتيب مخرجاته لتكوين مستقبل أفضل لهم، وإنسجاماً مع مبادئ وقيم الديمقراطية الليبرالية والنظرية الأخلاقية التي تمثل الثوابت الفكرية للمجتمع وسعيه الدائم نحو تحقيق الخير العام، أن توظيف مخرجات النظريات السياسية المعاصرة والمتأثرة بالفكر الترنسندنتالي نشر "ثقافة الإصلاح الجماعاتي للممارسة السياسية، وحفزت على أنتاج بيئة مجتمعية فاعلة ومحركة للمطالبة بتنفيذها على مختلف المستويات وبما يضمن حقوقه ومصالحه"[1]، وبرزت آثاره الإيجابية داخليا برفعه لمستوى قدرات الأغلبية ودعمهم لضمان الحقوق والمساواة للذات الجماعية وبشكل متوازن مع الذات الفردية، وخارجياً تحولت الديمقراطية الليبرالية الأمريكية لإنموذج عالمي وسخرت أدوات العولمة لنشر تجربتها كنهج سياسي وثقافي تقتبس منه الدول الأخرى، ووظف كجزء من القوة الناعمة لسياستها الخارجية لتدعم المزيد من قوة تأثيرها كدولة عظمى، وتضاعف من روابطها وصلاتها وتحالفاتها الخارجية لأستدامة أنموذجها عالمياً.

[2]Ibid, p97-100.

[1]Robert W. Maloy, op-cit, p119-122.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

وعلى الرغم من ذلك لم تستطع الإرادات الجماعية الحفاظ طويلاً على مسارها الإصلاحي، ولم تتمكن من الأستمرار بحصد نتائج إيجابية دائمة بسبب تغير الفاعليين السياسين التقليدين، نتيجة لهيمنة الفاعليين الأقتصاديين على إدارة السلطة ومخرجات صنع القرار، إذ لم تكتفي طبقة الأثرياء والشركات العملاقة الصناعية والتكنولوجية بالأستحواذعلى عمليات المنح الداعمة للمرشحين بالحملات الأنتخابية، وأنما أصبحوا هم جزء منها وتمكنوا من التحكم بمخرجاتها لتعبر عن إرادتهم لا إرادة المجتمع ما أدى لتذبذب عمليات الأصلاح وتقليص حجم نتائجها الواقعية، وبشكل فوز الرئيس ترامب الشاهد الفعلي لتأرجحها كما أفقدت التفكير الترنسندنتالي قيمته وجودته بالوعي الجماعاتي، وهددت الديمقراطية الليبرالية بالتأكل لولا أن ردود الفعل تجاه سياساته الداخلية والخارجية أعادت التوافق بين إرادة الفاعليين السياسين والمجتمع للعودة للمسار الطبيعي والذي نتج عنه فوز جو بايدن في الأنتخابات الرئاسية العام 2021.

- **<u>الخاتمة والاستنتاج:</u>**

أسهمت الترنسندنتالية بتطور بنية الفكر السياسي الأمريكي المعاصر وجوهر أفكارها ومعتقداتها، أعطت للعقل المفكر سمة الأنفتاح على النظريات الفلسفية والسياسية والنظر والتفاعل معها، ليس من منظور التأمل وإنما عبر التجريب والنقد والشك لتدركها الذات وتقنع بمدخلاتها وتتمكن من تحقيق مخرجاتها وبما يتواءم مع حاجات الفرد والمجتمع على مختلف المستويات، أما العقل الأنساني أستطاع عبرها فهم حدود نظرية المعرفة وأكتشف أن إيمانه الديني ومقدساتها لاترتبط بالأفكار الميتافيزقية، وأنما بمدى قدرته الذاتية وتوظيفها ليسمو لأعلى درجات الأيمان عندها يصل لحقيقية الإدراك العقلاني لعلاقته الروحية بالله، أن تركيز التفكير المتعالي على بناء شخصية الأنسان لتوازن بين نضوج وعيه وإرادته الحرة، وبين المبادئ الأخلاقية وكلاهما سيضاعفان الخير المطلق وهو الجوهر العميق المستتر بالنفس البشرية، وهذا يتطلب وضع قواعد للتنظيم والضبط ضمن العقد الإجتماعي ليتماهى مع معتقداتهم الترنسندنتية ويعمل على تحقيقها بإدارة عقلانية للسلطة والقانون والنظام السياسي، وهذا النضج بالتفكير والتواصل بين المتعاقدين بعد الأستقلال الأمريكي عزز من تثبيت دعائم الديمقراطية الليبرالية وقيمها ومبادئها وأسهم ببناء الأمة–الدولة المستقرة.

وعلى الرغم أن التفكير الترنسندنتالي بدأ يفقد وجوده في صدارة خطاب وسلوك الفاعلين السياسين بإدارة السلطة ومؤسسات الدولة، لكن تأثيره لم يتوقف وساعد بظهور نظريات فلسفية وإطروحات سياسية، لعبت

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

دورا مهم في تجديد بنية الفكر السياسي والأرتقاء بواقعه ليواكب المتغيرات العديدة في القرن العشرين والألفية الثالثة، لتلبية متطلبات المجتمع وإحتياجاته المتجددة لتظهر لنا الذرائعية والنقدية الواقعية الجديدة والجماعانية، كأطروحات فكرية تمثل حلقة الوصل بين التفكير الترنسندتي والقضايا المعاصرة، كالتعدد والتنوع وأحتواء الأختلاف العرقي والثقافي وعدالة التوزيع الجماعاتي ومبدأ الخيار العقلاني لإدارة السلطة بإرادة جماعية، وجميعها رفعت مستوى نضوج الوعي السياسي لتتعاضد الإرادة الذاتية والمجتمعية لتحفيز وإستجابة البيئة السياسية، لإجراء إصلاحات شاملة ليتمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة لصنع وإتخاذ القرار وفق مبدأي الحريات الليبرالية والفرص المتساوية، وأن كانت تتعرض للتراجع أو التذبذب بفعل مؤثرات الفاعلين الجدد بالعمل السياسي، لكنها تبقى من ثوابت فكر وثقافة المجتمع الديمقراطي الأمريكي المعاصر.

References:

1- Abdel Wahab Al-Mesiri and Fathi Al-Triki, Modernism and Postmodernism, Dar Al-Fikr Publishing, Damascus, 4th edition, 2016.
2- Ahmed Abdel Halim Attia, New Realistic Values, Al Nour Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 2010.
3- Asaf Muhammad, Social Capital: A Developmental Approach, Damascus Magazine, Volume 31, Issue 3, 2015.
4- Carol C. Gould, Interactive Democracy, University of New York, 2014.
5- Charles Morris, Pioneers of Pragmatic Philosophy, translated by Ibrahim Mustafa Ibrahim, University Knowledge House, Alexandria, Egypt, 2011.
6- Cris Voparil, Reconstructing Pragmatism, Publisher Oup USA, 2022.
7- Elinor J. Pierce, Jon M. Sweeney, Pluralism in Practice, Publisher Orbis Books, 2023.
8- Hamdi Mahran, Civil Obedience and Civil Disobedience between William Bailey and Henry Thoreau, Dar Drawing with Words for Publishing and Distribution, 2023.
9- Howard Zinn, The Popular History of the United States of America, translated by Shaaban Makkawi, National Center for Translation, Cairo, 2005.
10- Immanuel Kant, Critique of the Queen of Government, translated by Saeed Al-Ghanimi, Al-Jamal Publications, Beirut, Lebanon, 2009.
11- Joel Myerson, Transcendendentalism, Oxford University Press,2000.
12- Joseph Cook, Transcendentalism, Legare Street Press, 2022.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

13- Katrina Forrester, In The Shadow of Justice, Princeton University Press,2019.
14- Lawrence Buell, The American Transcendentalists, Modern Library Publisher, 2006.
15- Michael J. Sandel, The Tyranny of Merit, Publisher penguin,2021.
16- Mihaela Kelemen, Nick Rumens, American Pragmatism and Organization, Publisher Routledge, 2016.
17- Octavius Brooks, Transcendentalism in New England, a History, Publisher Creative Media Partners, LLc, 2021.
18- Peter Olen, Wilfrid Sellars and The Foundations of Normativity, Publisher Palgrave Macmillan London, 2016.
19- Philip F. Gura, American Transcendentalism, Hill & Wang Press, 2008.
20- Ralph Waldo Emerson, Freedom and Transcendentalism, Wafaa Alwani, and Samir Tanago, Dar Al-Wafa Donia for Publishing and Printing, Alexandria, 2020.
21- Robert Spiller, American Literature 1910-1960, translated by Mahmoud Mahmoud, Al-Hindawi Publishing and Distribution Foundation, revised version, 2022.
22- Robert W. Maloy, Building Democracy for All: Interactive of Government and Civic Life, Publisher Edtech Books, 2020.
23- Rudolf Stammler, The Theory of Justice, Law& Justice Press, 2022.
24- Steven Seidman, Contested Knowledge, Social Theory in Our Days, translated by Morsi Al-Tahawi, Arab Center for Research and Studies, Qatar, 2021.
25- Tiffany K. Wayne, Woman Thinking: Feminism and Transcendentalism in Nineteen- Century America, Lexington Books Press, 2005.
26- Walter Leatherbee Leighton, French Philosphers and New- England Transcendentalism, Legare Street Press, 2023.
27- Warren, Robert, Romantism, Newyork, Garland, 1986.

This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common : https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/